



ALLAH
KNOWING

Knowingallah.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

نَدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ

النداء الثاني عشر

طاعة الكافريين سبب
للكفر بعد الإيمان



علي بن نايف الشحود

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

النَّدَاءُ الثَّانِي عَشْرُ

طَاعَةُ الْكَافِرِينَ سَبْ

لِلْكُفُرِ بَعْدِ الْإِيمَانِ

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْدُو كُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (٣٠) } وَكَيْفَ
تَكُفُّرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣١) }

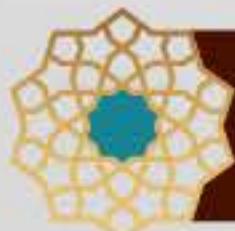
سورة آل عمران



يَخْذُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِطَاعَةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ
يَخْسِدُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَمَا
مَنَحَهُمْ مِنْ إِرْسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ ، لَأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُؤَدِّي بِهِمْ
إِلَى الْكُفْرِ .

وَقَدْ نَزَّلْتُ هَذِهِ الْآيَةُ فِي اثْنَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ . فَبَيْرُوَى أَنَّ الْأَوْسَ
وَالْخَرْجَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ ،
وَعَدَوَاتٌ مُسْتَحْكِمَةٌ ، وَلَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ أَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ
قُلُوبِهِمْ ، وَأَصْبَحُوا إِخْوَةً فِي الْإِسْلَامِ . وَمَرَّ يَهُودِيٌّ فَرَأَى
الْأَوْسَ وَالْخَرْجَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ تَوَادِداً
وَصَفَاءً ، فَسَاءَهُ ذَلِكُ ، فَدَسَّ يَهُودِيًّا يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ الْحُرُوبِ
بَيْنَهُمْ ، وَبِمَا كَانُوا يُفَاخِرُونَ بِهِ مِنْ أَشْعَارٍ ، فَفَعَلَ ، فَقَامَ
رَجُلٌ مِنَ الْأَوْسِ وَآخَرٌ مِنَ الْخَرْجِ فَتَلاَسَنَا ، وَأَثَارَ كُلُّ مِنْهُمَا
جَمَاعَتَهُ ، وَدَعَاهُمْ بِدُعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَسْلَحَ النَّاسُ وَخَرَجُوا
لِلْقِتَالِ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَطَبَهُمْ
وَذَكَرَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ فَسَكَنُوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ
وَالَّتِي قَبْلَهَا .

وَيَسْتَبْعِدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكْفُرُوا ، وَحَاشَهُمْ
مِنْ ذَلِكَ (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) ، فَآيَاتُ اللَّهِ تُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ لِيَلَّا
وَنَهَا ، وَهُوَ يَتْلُوَهَا عَلَيْهِمْ ، وَيُبَلِّغُهَا إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَنْبَغِي
لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ ، بَلِ الْوَاجِبُ



عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْجِعُوا ، عِنْدَ كُلِّ شُبْهَةٍ يَسْمَعُونَهَا مِنْ هُؤُلَاءِ
الْيَهُودِ ، إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَكْشِفَ
لَهُمْ عَنْهَا ، وَيُزِيلَ مَا عَلِقَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْهَا .

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ ، وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَإِنْ ذَلِكَ يُنْعَدِهُ عَنِ الْغَيْرِ
وَالضَّلَالِ ، وَيُوصِلُهُ إِلَى الْهِدَايَةِ وَالرِّشادِ ، وَطَرِيقِ السَّدَادِ .
لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشئ في الأرض طريقها
على منهج الله وحده ، متميزة متفردة ظاهرة . لقد ابتدأ
وجودها ابتداء من منهج الله؛ لتؤدي في حياة البشر دوراً
خاصاً لا ينهض به سواها . لقد وجدت لـقرار منهج الله في
الأرض ، وتحقيقه في صورة عملية ، ذات معالم منظورة ،
ترجم فيها النصوص إلى حركات وأعمال ، ومشاعر وأخلاق
، وأوضاع وارتباطات .

وهي لا تحقق غاية وجودها ، ولا تستقيم على طريقها ، ولا
تنشئ في الأرض هذه الصورة الوضيئه الغريدة من الحياة
الواقعية الخاصة المتميزة ، إلا إذا تلقت من الله وحده ، وإنما
إذا تولت قيادة البشرية بما تلقاه من الله وحده . قيادة
البشرية . لا التلقي من أحد من البشر ، ولا اتباع أحد من
البشر ، ولا طاعة أحد من البشر . إما هذا وإنما الكفر
والضلال والانحراف ..

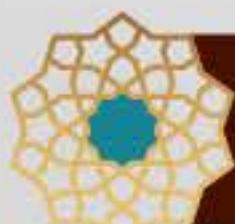




هذا ما يؤكده القرآن ويكرره في شتى المناسبات . وهذا ما يقيم عليه مشاعر الجماعة المسلمة وأفكارها وأخلاقها كلما سنت الفرصة . . وهنا موضع من هذه المواقف ، مناسبته هي المناظرة مع أهل الكتاب ، ومواجهة كيدهم وتأمرهم على الجماعة المسلمة في المدينة . . ولكنه ليس محدوداً بحدود هذه المناسبة ، فهو التوجيه الدائم لهذه الأمة ، في كل جيل من أجيالها ، لأنه هو قاعدة حياتها ، بل قاعدة وجودها .

لقد وجدت هذه الأمة لقيادة البشرية . فكيف تتلقى إذن من الجاهلية التي جاءت لتبدلها ولتصلها بالله ، ولتقودها بمنهج الله؟ وحين تخلى عن مهام القيادة بما وجودها إذن ، وليس لوجودها - في هذه الحال - من غاية؟!

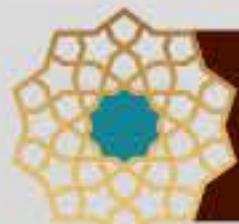
لقد وجدت للقيادة : قيادة التصور الصحيح . والاعتقاد الصحيح . والشعور الصحيح . والخلق الصحيح . والنظام الصحيح . والتنظيم الصحيح . . وفي ظل هذه الأوضاع الصحيحة يمكن أن تنمو العقول ، وأن تتفتح ، وأن تتعرف إلى هذا الكون ، وأن تعرف أسراره ، وأن تسخر قواه وطاقاته ومدخراته . . ولكن القيادة الأساسية التي تسمح بهذا كله ، وتسيطر على هذا كله وتوجهه لخير البشر لا لتهديدهم بالخراب والدمار ، ولا لتسخيره في المأرب والشهوات . . ينبغي أن تكون للإيمان ، وأن تقوم عليها الجماعة المسلمة ، مهتمة فيها بتوجيه الله . لا بتوجيه أحد من عبيد الله .



{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُو فَرِيقاً مِّنَ الظِّنَّةِ أَوْتُوا الْكِتَابَ
يَرْدُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتَلَقَّى
عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ ؟ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ
هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } .

إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس منهجهم وأوضاعهم ، تحمل ابتداءً معنى الهزيمة الداخلية ، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة . كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعداً في طريق النماء والارتقاء . وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس ، وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب .

هذا من جانب المسلمين . فأما من الجانب الآخر ، فأهل الكتاب لا يحرضون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها . فهذه العقيدة هي صخرة النجاة؛ وخط الدفاع ، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة . وأعداؤه يعرفون هذا جيداً . يعرفونه قديماً ويعرفونه حديثاً ، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة ، ومن قوة كذلك وعدة . وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهريين يدسون لها ماكرين . وحين يعييدهم أن يحاربواها بأنفسهم وحده ، يجندون من المنافقين المتناظهرين بالإسلام ، أو ممن ينتسبون - زوراً - للإسلام ، جنوداً مجندة ، لتنخر لهم في

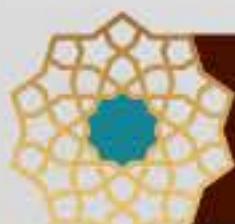


جسم هذه العقيدة من داخل الدار ، ولتصد الناس عنها ، ولتزين لهم مناهج غير منهجها ، وأوضاعاً غير أوضاعها ، وقيادة غير قيادتها . . فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طواعية واستماعاً واتباعاً ، فهم ولا شك سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم ، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال . ومن ثم هذا التحذير الحاسم المخيف : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تطِيعُوا فِرِيقاً مِّنَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ أَتُؤْمِنُ بِهِمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرُهُمْ } ..

وما كان يفزع المسلم - حينذاك - ما يفزعه أن يرى نفسه منتسماً إلى الكفر بعد الإيمان . وراجعنا إلى النار بعد نجاته منها إلى الجنة . وهذا شأن المسلم الحق في كل زمان ومن ثم يكون هذا التحذير بهذه الصورة سوطاً يل heb الضمير ، ويوقفه بشدة لصوت النذير . . ومع هذا فإن السياق يتبع التحذير والتذكير . . فيا له من منكر أن يكفر الذين آمنوا بعد إيمانهم ، وآيات الله تتلى عليهم ، ورسوله فيهم .

ودواعي الإيمان حاضرة ، والدعوة إلى الإيمان قائمة ، ومفرق الطريق بين الكفر والإيمان مسلط عليه هذا النور : { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتَلَقَّبُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ ؟ }

أجل . إنها لكبيرة أن يكفر المؤمن في ظل هذه الظروف المعينة على الإيمان .. وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه



وسلم - قد استوفى أجله ، واختار الرفيق الأعلى ، فإن آيات الله باقية ، وهدى رسوله - صلى الله عليه وسلم - باق . . . ونحن اليوم مخاطبون بهذا القرآن كما خطب به الأولون ، وطريق العصمة بين ، ولواء العصمة مرفوع : {وَمَن يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} . . . أَجَل . إِنَّهُ الاعتصام بالله يعصم . وَاللَّهُ سَبَحَنَهُ بَاقٌ . وَهُوَ - سَبَحَنَهُ - الْحَيُّ الْقَيُومُ .

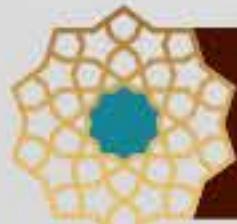
ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتشدد مع أصحابه - رضوان الله عليهم - في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج ، بقدر ما كان يفسح لهم في الرأي والتجربة في شؤون الحياة العملية المترفة للتجربة والمعرفة ، كشأن الزرع ، وخطط القتال ، وأمثالها من المسائل العملية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي ، ولا بالنظام الاجتماعي ، ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان . . . وفرق بين هذا وذلك بين . فمنهجه الحياة شيء ، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر . والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهجه الله ، هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مادي في نطاق منهجه للحياة . .

قال الإمام أحمد : « حدثنا عبد الرزاق ، أئبنا سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت . قال : » جاء عمر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله . إني

أمرت بأخ يهودي منبني قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة . ألا أعرضها عليك؟ قال : فتغير وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال عبد الله بن ثابت : قلت له : ألا ترى ما وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقال عمر : رضيت بالله ربأ ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا . قال : فسري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال : والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى - عليه السلام - ثم اتبعتموه وتركتموني لضلالتكم . إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبئين » .

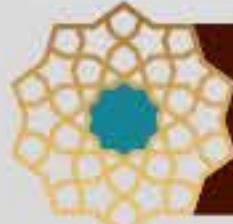
وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا حماد عن الشعبي عن جابر . قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء . فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا . وإنكم إما أن تصدقوا بباطل ، وإما أن تكذبوا بحق . وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني . . . وفي بعض الأحاديث : « لو كان موسى وعييسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي » .

هذا هو توجيه الله - سبحانه - وهذا هو هدى رسوله - صلى الله عليه وسلم - فأما نحن الذين نزعم أننا مسلمون ، فأرانا نتلقي في صميم فهمنا لقرآننا وحديث نبينا - صلى الله عليه وسلم - عن المستشرقين وتلامذة



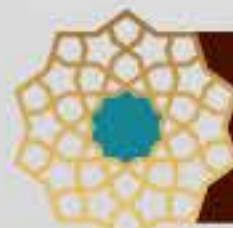
المُسْتَشْرِقِينَ! وَأَرَانَا نَتَلَقَّى فَلْسِفَتَنَا وَتَصْوِيرَاتَنَا لِلْوُجُودِ
وَالْحَيَاةِ مِنْ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ ، وَمِنْ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُفَكِّرِينَ :
الْإِغْرِيقِ وَالرُّومَانِ وَالْأُورُوبِيِّينِ وَالْأَمْرِيكَانِ! وَأَرَانَا نَتَلَقَّى نَظَامَ
حَيَاتَنَا وَشَرَائِعَنَا وَقَوَاعِيْنَا مِنْ تِلْكَ الْمَصَادِرِ الْمَدْخُولَةِ! وَأَرَانَا
نَتَلَقَّى قَوَاعِدَ سُلُوكَنَا وَأَدَابَنَا وَأَخْلَاقَنَا مِنْ ذَلِكَ الْمَسْتَنْقِعِ
الْأَسْنِ ، الَّذِي اِنْتَهَى إِلَيْهِ الْحَضَارَةُ الْمَادِيَّةُ الْمَجْرِدَةُ مِنْ رُوحِ
الْدِينِ .. أَيْ دِينِ .. ثُمَّ نَزَعْمُ - وَاللَّهُ - أَنَّا مُسْلِمُونَ! وَهُوَ زَعْمٌ
إِثْمَهُ أَثْقَلُ مِنْ إِثْمِ الْكُفُرِ الْصَّرِيحِ . فَنَحْنُ بِهَذَا نَشَهِدُ عَلَى
الْإِسْلَامِ بِالْفَشْلِ وَالْمَسْخِ . حِيثُ لَا يَشَهِدُ عَلَيْهِ هَذِهِ
الشَّهَادَةُ الْأَثْمَةُ مِنْ لَا يَزْعُمُونَ - مَثَلُنَا - أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ!

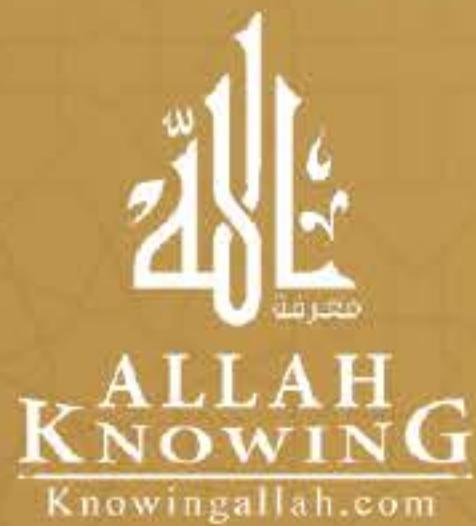
إِنَّ الْإِسْلَامَ مِنْهَجٌ . وَهُوَ مِنْهَجٌ ذُو خَصَائِصٍ مُتَّمِيَّزةٌ : مِنْ
نَاحِيَّةِ التَّصُورِ الاعْتِقَادِيِّ ، وَمِنْ نَاحِيَّةِ الشَّرِيعَةِ الْمُنْظَمَةِ
لِاِرْتِبَاطَاتِ الْحَيَاةِ كُلُّهَا . وَمِنْ نَاحِيَّةِ الْقَوَاعِدِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، الَّتِي
تَقْوِيمُ عَلَيْهَا هَذِهِ الْاِرْتِبَاطَاتُ ، وَلَا تَفَارِقُهَا ، سَوَاءً كَانَتْ
سِيَاسِيَّةً أَوْ اقْتَصَادِيَّةً أَوْ اجْتَمَاعِيَّةً . وَهُوَ مِنْهَجٌ جَاءَ لِقِيَادَةِ
الْبَشَرِيَّةِ كُلُّهَا . فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ
تَحْمِلُ هَذَا الْمِنْهَجَ لِتَقْوِيدِهِ بِالْبَشَرِيَّةِ . وَمِمَّا يَتَناقضُ مَعَ
طَبَيْعَةِ الْقِيَادَةِ - كَمَا أَسْلَفْنَا - أَنْ نَتَلَقَّى هَذِهِ الْجَمَاعَةُ
التَّوْجِيهَاتُ مِنْ غَيْرِ مِنْهَجِهَا الذَّاتِيِّ .. وَلِخَيْرِ الْبَشَرِيَّةِ جَاءَ
هَذَا الْمِنْهَجُ يَوْمَ جَاءَ . وَلِخَيْرِ الْبَشَرِيَّةِ يَدْعُو الدُّعَاءُ لِتَحْكِيمِ
هَذَا الْمِنْهَجَ الْيَوْمَ وَغَدَّاً . بَلْ الْأَمْرُ الْيَوْمَ أَلْزَمَ ، وَالْبَشَرِيَّةُ



ترد إلى هذا المنهج فهي في طريقها إلى الارتکاس الشائن لكل تاريخ الإنسان ، وكل معنى من معاني الإنسان!

وأولى الخطوات في الطريق أن يتميز هذا المنهج ويتفرد ، ولا يتلقى أصحابه التوجيه من الجاهلية الطامة من حولهم .. كيما يظل المنهج نظيفاً سليماً . إلى أن يأذن الله بقيادته للبشرية مرة أخرى . والله أرحم بعباده أن يدعهم لأعداء البشر ، الداعين إلى الجاهلية من هنا ومن هناك! . وهذا ما أراد الله سبحانه أن يلقنه للجماعة المسلمة الأولى في كتابه الكريم؛ وما حرص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يعلمها إياه في تعليمه القويم ..





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
نَدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ

النَّدَاءُ الثَّانِي عَشْر

عَلِيُّ بْنُ نَابِيْفِ الشَّحْوَد